أقواس

الأغنية اليمنية في غيبوبة فما هي الأسباب؟!

دعونا نكون صادقين مع أنفسنا ومع الآخرين ونعترف بالحقيقة المؤلمة والواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار وهي أن الأغنية اليمنية في بلادنا اليوم تعيش حالة من الغيبوبة بعد عقود من المجد والتطور سواء في مستوى الكلمة أو اللحن أو الأداء.

ترى ما الذي أوصل حال الأغنية اليمنية الجريحة إلى هذا المستوى من الضعف والتدني هل كان لموت عمالقة الغناء اليمني علاقة في نضوب نهر الروعة والجمال والتألق عاشته الأغنية منذ بداية القرن الماضي وحتى بداية تسعيناته.

أين نحن من ذلك الفن العظيم والكلمة واللحن والأداء..لماذا قل عشق فنانينا للعود الأصيل والربابة الحزينة المليئة بالحب ورعشة الوجع الجميل.

من هو المسؤول عن هذا الركود من الذي ينبغي أن نحمله المسؤولية.. هل هم الفنانون الذين استسهلوا عملية الكسب السريع من خلال دوامة المخادر والأندية ومجالس القات.؟

وهل يمكن أن نحمل مكاتب الثقافة والجهات المسؤولة عن غذائنا الروحي جزءا من هذه المسؤولية في دخول الأغنية اليمنية غرفة الإنعاش منذ فترة ليست بالقصيرة.

ترى إلى متى يستمر هذا الحال للأغنية اليمنية التي يعتبرها الآخرون أساسا متينا للأغنية الخليجية..هل الحال سيظل كما هو عليه وعلى المتضرر اللجوء إلى الأصوات القديمة التي كانت سكر أيامنا وبلسم جراحاتنا العاطفية ونبض أحاسيسنا الوطنية العاشقة جبال ووديان وسهول وطننا اليماني السعيد عنوان الحضارات الإنسانية أم أن عشاق الكلمة والنغم لهم رأي آخر ولديهم طاقات جديدة تستطيع أن تعيد للأغنية اليمنية عافيتها ووهجها العاطفي البديع الذي أسر القلوب عقودا من الزمن.

طارق حنبله

الشاعر عبدالعزيز المقالح.. في (كتاب في جريدة)

محمد علي شمس الدين

لصنعاء سبعة أبواب قديمة.. بصيغة أدق، لصنعاء سبع بوابات قديمة. فالباب للمنزل، والبوابة للسور وللمدينة.. لكن، لكلمة الباب معنى رمزي ليس للبوابة.. معنى يكاد يكون روحيا.. وهو عند بعض الفرق الإسلامية يحمل معنى دينيا عاليا. لذلك نستطيع أن نضيف اليوم لبوابات صنعاء القديمة، بابا جديدا وحديثا، وهو باب للثقافة والشعر.. ونستطيع أن نشير مباشرة إلى عبدالعزيز المقالح، الشاعر، ورئيس جامعة صنعاء سابقا والصديق الثقافي لعشرات الشعراء والأدباء والمفكرين والباحثين، العرب والأجانب، ممن فتح لهم الرجل بابا إلى اليمن، اسمه باب الثقافة، وهو باب، على الأرجح، أكثر حساسية وأهمية من بوابات الحجر... على ما لها في صنعاء، من هيبة تاريخية، وعبق قديم.

إن صدور مختارات شعرية لعبدالعزيز المقالح، من خلال مشروع «كتاب في جريدة» الذي تشرف عليه وتصدره منظمة «اليونسكو» (من خلال العدد 88 كانون الأول 2005)، مع رسوم لأحمد الحجري، هو فتح الباب الثامن لليمن (ولصنعاء اختصارا) مزينا بقصائده، المنشورة في المجموعات الشعرية للمقالح، منذ العام 1961م (رسالة إلى سيف بن ذي يزن) حتى آخر مجموعاته الشعرية: كتاب القرية، وصنعاء، والأصدقاء، في العامين 2004، و2005م.

المختارات الشعرية، على وجه الحصر، جاءت مأخوذة من المجموعات الشعرية التالية: «بلقيس وقصائد لمياه الأحزان»، «كتاب القرية»، «كتاب صنعاء»،و «أبجدية الروح»، «الكتابة بسيف الثائر على بن الفضل»، «عودة وضاح اليمن»، «هوامش يمانية على تغريبة ابن زريق البغدادي»، «رسالة إلى سيف بن ذي يزن»، «لابد من صنعاء»، «تأملات».

يلاحظ حضور صنعاء واليمن ومأرب وبلقيس ووضاح اليمن وسائر مفردات المكان والزمان اليمانيين في شعر المقالح.

والمكان اليماني كما الزمان اليماني اليوم، كلاهما قديم.. يقول في كتاب القرية «بيوتها الحجرية المطلية النوافذ بالنورة / طين تراوده شهوة العزلة وحنين الابتكار»... ويذكر أن صنعاء مدينة التف جسدها بالحرير تارة وبالرماد تارة» أما جبل نقم المشرف على صنعاء، ويفضل الشاعر أن يسميه «غيمان» فإنه يغازل أنقاض التاريخ ويتوق إلى تغيير اسمه.

غالبا ما يذكر المقالح كلمة «الروح» في أشعاره.. فصنعاء «عاصمة الروح» وأبجدية أشعاره، «أبجدية الروح»... وهو شاعر ذو شجن. «هل تسمعني بكاء القطارات إذا ما أتى الليل؟» وصاحب عشق بيئه لذاته ولمدينته، تارة بوجد المتصوف، وطورا بحنين البعيد عن معشوقه (حتى ولو كان مقيما في حضنه)... والشاعر أيضا صاحب تأمل وأسئلة، غالبا ما تئن في الليل أو في «ليل الليل» كما يقول... وهو بالضرورة إنشادي غنائي، حتى في تأمله الهادئ... فتأتي قصائده على صورة همس مع الذات وحوار جواني مع الأشياء والأسماء

«سأعترف الآن أني خدعت العصافير/ أني هجوت الحدائق/ اني اختصمت مع الشمس/ أني اتخذت طريقي إلى البحر منفردا وانتظرت الزمان الجميل»...

وحين ينسحب إلى ملاذ ما، في الاسم أو في المعنى، فانسحابه جميل ونبضه أسيان

«إلهي/ تسللت ذات مساء شديد الظلام إلى منطق الطير»

... «أي إلى منطق طير مزيد الدين العطار النيسابوري – كما يقول الشاعر في «أبجدية الروح» – وهذا اللجوء، لا يتم في غالب قصائد المقالح من دون حس يتداخل فيه اليأس بالأمل، كتداخل الليل والنهار، والمرارة بنقيضها:

«يستوي مخلب الذئب والكف
كف الصديق الذي حملته جفوني
وكنت له الريش والأفق...
كيف استوت، آه، تفاحتي والحجر؟».

فالحزن كما النقش في أشعار المقالح، حزن يماني... يقول «أورقت الكآبة» ويقول مخاطبا مأرب «سيدتي ليس ذنبي: تصالح في قتلي النفط والرمل».

قصائد عبدالعزيز المقالح لينة قليلة التعقيد على عمق آسر، وكما تشعر نحو صاحبها بمودة كهذا تشعر نحوها بالمودة نفسها. وهي تضرب في حداثة هادئة، لكن ليس على بعد بعيد من الأصول والايقاعات. إنه جسر للحداثة الشعرية في اليمن... وعلى هذا الجسر تنتقل الأجيال. كان قد ابتكر في مداخلاته النقدية، تعبيرا للقصيدة الحديثة التي يكتبها شعراء شباب هناك، فسماها «القصيدة الأجد»... وهكذا فكيف لك بزيارة أشعار الشاعر، ولا تزور المكان القديم الجميل السعيد والحزين معا، اليمن؟... فمن الصعب الكلام على يمن الحاضر، من دون أن يفتح التاريخ علينا الباب... فيدخل

الدكتور عبدالعزيز المقالح

ويجلس معنا في المجلس أو المقيل»، ويصعد فيملأ فضاء المكان، «هنا بلاد حاضرها موصول بماضيها كحبل الوريد، وأسطورتها تشارك في صنع حاضرها.. بلاد لا يمكن للشاعر أن يتلافاها».

وحين سبق لي وزرت تلك البلاد السعيدة، وكتبت عنها، كنت واحدا من عشرات المشدودين إليها بخيط السحر، ولم أكن أقل شوقا للقاء بلقيس من الملك سليمان بن داوود نفسه.

فهل كان يدور في خلد بلقيس حين دفنت عينيها السوداوين الجميلتين في الصحراء، قرب معبد «ألقا» – إله القمر – في العبادة القديمة، غير بعيد عن قصرها في تخوم مأرب، أن عينيها ستزهران يوما ما في دفاتر الشعراء؟ وأن سلالات كثيرة من العشاق والمفتونين بسحر التاريخ، سوف يلوون نحوها أعناقهم، كل يوم، كما تلوي الظباء أعناقها حين تشم رياح الصحراء...؟.

هل كانت تعلم بلقيس أن المقالح سيكتب لها الآن، وهناك، قصائد عشق وهو طريح فوق نار العشق، وأنه سيكتب لها على ظهر الحصى، فتورق الحجارة....؟

مع قصائد المقالح، وفي صنعاء ومأرب، والحجة، وحضرموت، أدور على مسافة الأزمنة والأمكنة مع الناس بقاماتهم الهزيلة ووجوههم السمراء، يتدافعون في الشوارع والأزقة والأسواق كما يتدافعون في ذاكرة تعود لأكثر من قرنين من الزمان. يكون اليمني عادة حاسر الرأس أو يلبس عمامة صغيرة زيدية، يضع في وسطه خنجرا معقوفا، ولابد دائما من انتفاخ قليل في زاوية الفم. إنه القات.

يعبر عبدالعزيز المقالح في أشعاره على القات. يكتب في قصيدة بعنوان «الخروج من دوائر الساعة السليمانية»:

«.. باحثا في الماء عن وجهي/ عن حروف القات/ عن شجيرات الخيال/ أين تختفي خيلي؟.... يمضغون خضرة الأيام/ يشربون ماء العمر/ أين ضوء الحلم والبراءة؟»

في أحاديثنا مع عبدالعزيز المقالح، كان يقول لي إن المقيل وجلسات القات في اليمن، كانت ندوات أدبية وفكرية وسياسية.. تناقش فيها حول النبتة الخضراء، شتى الشؤون الفكرية والسياسية والأدبية. قال إن الثورة صنعت في هذه المقيلات (جمع مقيل)... والفتاوى الشرعية نفسها تجيز مضغ القات باعتدال. وهناك أشعار في مديح القات وأوراقه الخضراوات «كاليواقيت»...

حسنا... لنعبر ذلك إلى صور اليمني في شعر المقالح. إنه يعيش في زمن زراعي لا ريب فيه... إنه محب مضياف عريق، تكاد تشم من ثيابه كما في الأسواق والمنازل روائح القرون الماضية: البن والبهارات، الفلفل والمسك، والحناء والطيب. المنازل خفيضة الارتفاع، قديمة، مزركشة بحجارة صغيرة، وشرفات مشربة بألوان عديدة تتقابل حول أزقة ضيقة: هذا هو معمار صنعاء. لا تظهر لنا صنعاء بمثل هذه التفاصيل في شعر المقالح. إنه ينظر إليها في الشعر على أنها «عاصمة الروح»... ولكن، لابد لنا من تفاصيل المدينة... فحين تخرج من المقيل، وتطلق طرفك في أفق المدينة، ترى صنعاء عالية وفسيحة: المآذن كثيرة والمنازل غفيرة، والأذان يعلو في آناء الليل وأطراف النهار. قريبا منها، يحرسها جبل على شكل جبلين صغيرين: يسمونه جبل النهدين. وفي البعيد الجبال والرمال...

ومأرب مأربان: القديمة بسدها وآثارها الباقية مثلما يقول الشاعر العربي «كباقي الوشم في ظاهر اليد».. والسد الجديد مكان القديم، مؤسس على الأسس الهندسية نفسها لمهندسي الماضي العظيم... حيث، هنا، يتجاور الماضي الذي لم يمض تماما والحاضر الذي لم يحضر تماما..

عبدالعزيز المقالح يقطف الرمز والدلالة من بلاده... حاضرها والتأريخ... الأماكن والأسماء... وما أكثرها وأغناها في مدينة لابد منها (وإن طال الشعر).

برحيل بعكر

اليمن تخسر فارسا مبدعا وعالما جليلا

أحمد سالم باجل

رحل المخضرم الأستاذ القدير الموسوعة العلمية العلامة والأديب اليمني الكبير / عبدالرحمن طيب بعكر، إذ غادر دنيانا .. المغفور له بإذن الله مساء يوم الخميس الموافق 18 / 1 / 2007م "بعصمي تهامة" ونحن نتأهب لتوديع عام هجري مضى وقبل ان نستقبل العام الجديد ودعنا طورا من الأطوار وجبلا من جبال اليمن الشامخة ودعنا عالما جليلا ومؤرخا كبيرا وقلما ناضجا إنه المؤرخ اليمني عبدالرحمن طيب بعكر الحضرمي التهامي أحد أبناء مدينة حيس التاريخية درة الساحل الغربي في تهامة .. عاش حياته متعبدا متبتلا في محراب الكلمة .. لم نكن نتوقع ونحن نودع عاما هجريا آخر أننا سنودع . ايضا علما من إعلامنا البارزة، وفارسا من فرسان الحرف، ونبراسا اضاء لنا وللأجيال طريقا مفعما بالحرية والعدالة والنور، عطر حياتنا واسماعنا بالكلمة الصادقة المليئة بالحب والتضحية، حقا انه مدرسة وموسوعة علمية عشق الكلمة حتى ذاب عشقا لقد كان يوما حزينا ذلك اليوم الذي ودعناك فيه بالدموع، احقا سقط يراعك باحثا عن أناملك .. بكى اليراع فأبكانا، بحثنا عنك يا أبانا "يا أبا نور" يامن علمنا معنى الحب والعطاء الذي لاينضب والابداع المتميز، وغمسنا بدم الكلمة. ها أنت ترحل عنا فجأة، بعد حياة حافلة بالعطاء المتميز نوعا وكما وكيفا .. حياة مليئة بالبؤس والعذاب. ها أنت ترحل عنا يا سيدي، ترحل عن عالمنا بشموخ وإباء، كما عشت دائما شامخا كشموخ نخيل السحاري، وبساطة البيوت .. وعظمة البحر، ها أنت ترحل عنا ياعاشقا لايعرف اليأس طريقا إليه رغم الحياة البسيطة التي عشتها لم تعرف الخنوع يوما لم تستجد أحدا، ولم تطلب من أحد شيئا .. فرضت احترامك على الجميع بيراعك وعلمك، وتسامحك .. كنت ابا للجميع وصديقا للجميع لم تعرف الحقد ولا الخنوع .. لقد كنت مثلاً للجميع فأحبوك واستطعت بتواضعك وبساطتك أن تلفت اليك الانظار الاعجاب وكل الاحترام وصادق الحب والرؤى .. فما عرفناك يوما إلا باذلا نفسك للصغير قبل الكبير فاتحا قلبك وبيتك للجميع فاصطفاك الجميع صديقا وأخا وأبا ومعلما ، ها أنت ترحل عنا يانجما سطع في سماء حياتنا فجأة وملأ وجداننا بمعارفه. لذا فأنت لم تمت لأنك في قلوبنا .. لازلت معنا بكل القيم الجميلة والسلوك الراقي الذي تميزت به في حياتك لقد كنت إنسانا مبدعا بكل ما تعنيه هذه المفردة .. انت باق معنا في كتاباتك واعمالك الأدبية التي تفوق الثلاثين مؤلفا وفي مواقفك مع تلاميذك ومريديك مع كل من عرفك ومن لم يعرفك . فنم قرير العين يا سيدي لقد سطرت لنا بيراعك المرهف أجمل لوحات الابداع. ادبا وتاريخا شعرا ونثرا لم نكن نتوقع رحيلك يا سيدي بهذه السرعة ولكن هانحن وجها لوجه امام الحقيقة المرة والفاجعة الاليمة لم نصدق ان الموت اغتنم حياة ذلك العلم والمربي والمؤرخ عبدالرحمن طيب بعكر كيف ينتزعك الموت منا من التاريخ بجلوا عنه الصد بعد رحيلك من الأدب شعرا ونثرا يبرز سبائكه ويحيكها عقدا من الكلمات "والزنط الحيسي" من البلاد الابيضين . الفل والقطن . بعد رحيلك هكذا غنت تهامة عن نعي قامتك يبرز لنا مثل العناقيد فتضيء لها نفوسنا الملبدة بالغيوم الرمادية من لابي علوان في ركابه وابن السودي والفقيه، ينثر لئالئهم في سماء حياتنا لينهل منها الاجيال أيها الصوفي المتصوف رحلت مع رحيل عام مليء بالهزائم .. لكنك ستبقى خالدا في قلوبنا وان كان فراقك عنا خسارة فادحة وخسارة كبرى لليمن الحبيبة لانك كنت أحد مفكريها أحد الاعلام الكبار رغم انك اعمى البصر لكنك كنت الانسان المثالي والعلم البارز بالوطن فنم قرير العين ياسيدي، نم فنحن سائرون على نهجك وعهدا منا ان تظل خالدا في قلوبنا لن ننساك ابدا، اسكنك الله فسيح جناته وفردوس الخلد مع الابرار والصديقين آمين.

أدب الاعترافات

ضبابية الرؤى حول المفهوم

عمر عبدربه السبع

تعتز مدينة توتنجهام بروائيها الشهير لورنس،وتفخر بأدبه الفج الذي يصور الفعل الفاضح في الجنس،واعتبار أن هذا النوع من الأدب الذي يغوص في عالم الواقعية والجنس بأدب الرواية أو السيرة الذاتية،أو أدب الاعترافات..

وقد قال ذات يوم الكاتب الروائي الكبير،الأديبالعربي الحائز على جائزة نوبل،الأستاذ نجيب محفوظ: "إن مقياس الحكم على السيرة الذاتية يجب أن يكون هو الصدق في تصوير الحقيقة".

وبقي أن نعرف ما المقصود بالصدق في تصوير الحقيقة،وهل لهذا الصدق من التزامات وقيود،أم أن هناك حرية مطلقة في قول كل شيء وإن خرج عن اللياقة والكياسة والاحتشام.

يقال إن مساحة الحرية محدودة،بل إن خير الحريات هي الحرية المسؤولة،وفي الأدب يعتبر تهذيب الألفاظ سمة أساسية يتحلى بها الأديب،ويتجنب من خلال الأساليب المختلفة،التي لا يقدر عليها غيره،ذكر القول الصريح فيما يعرض من أفكار إباحية،وينأى بنفسه عن السرد المباشر الفج والخالي من الأصول والقواعد وسقط الكلام..

صحيح أن المذاهب والعقائد والإيديولوجيات متباينة وإن ما يبدو واقعيا في رواية ما عند صاحب إيديولوجية ما،قد يكون قولا فاضحا وتعبيرا قبيحا بمنظور رجل العقائد لذات الرواية.

والأديب لورنس اكتسب شهرته الأدبية بعد أن هاجمه النقاد والقراء معا واعتبروه من كتاب العري والجنس وبعد أن صودرت روايته واسعة الانتشار الموسومة "قوس قزح" في عام 1915م،وفي عام 1928صودرت روايته الأخرى الإكثر شهرة "عشيق الليدي شاترلي"لعباراته المباشرة والمغمورة بالفواحش المنكرة لكل ذي دوق سليم وإيمان رصين..

ولكن النقاد الأوروبيين في الخمسينات من القرن العشرين،كان لهم رأي شديد التباين والاختلاف عن نقاد الحقبة التي سبقتهم،فأعادوا الاعتبار للروائي لورنس وروايته شديدة الإباحية "عشيق الليدي شاترلي"لأن نظرة النقاد للإباحية والسلوكيات المشبوهة بين الرجل والمرأة نوع من الأدب الواقعي وأدب الجنس،وازدادت الرواية شهرة واتساعا عندما عرضت في دور السينما.

فإذا كان موضوع اختلاف النقاد والأدباء والقراء حول مواجهة أدب الاعترافات والأقلام الفاضحة موضوع قديم،فإن هذا الموضوع لا يزال بين الفينة والأخرى يتجدد كلما سنحت الفرصة ودار حوله النقاش.

فالكاتب المغربي محمد شكري قد حرك المياه الراكدة في ثمانينات القرن الماضي عندما كتب سيرته الذاتية أو روايته "الخبز الحافي"وضمنها سردا مباشرا فيه من الإباحية الشئ الكثير،فأطلق عنان قلمه وفكره في سرد مواقعة ساقطات المجتمع،وترحم للزمن الجميل في طنجة فتهور ما شاء له التهور بحجة العلمانية وحرية الفكر وحق التعبير،ولو بطريقة الفسق والفجور وكبائر الأمور..

وقد انتقد الدكتور عبدالقادر القط كتاب(الخبز الحافي)واعتبر الرواية مكتظة بغلظة المفردات،وركاكة البناء والمباشرة الفجة،وقبح الشعور وضعف التعبير...

وقد تاب لورنس من سعير النقاد فاختار منفاه وألف عددا في كتب الرحلات وأبدع ومن أهم كتبه كتاب عن المكسيك،ومات في عام 1930م عن عمر ناهز 42عاما.

وبعد هل تتفق معي إن ساحة الحرية يجب أن تكون محدودة ومقننة،أم لك رأي مغاير والأفضل في رأيك ترك الحبل على الغارب؟!

فلسطين.. السلام لا الفصل العنصري

كتاب الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر "فلسطين.. السلام لا الفصل العنصري" يمثل خدمة جليلة للمعنيين بتوعية الشعب الأميركي بحقوق الشعب الفلسطيني وبمواجهة ماكينة الدعاية المساندة لإسرائيل في الولايات المتحدة، وذلك لطبيعة ومضمون الكتاب اللذين نأمل توضيحهما للقارئ بأكبر قدر ممكن في العرض الراهن.

عرض/علاء بيومي

شهادة للتاريخ

هذا الكتاب أشبه بشهادة يقدمها كارتر للتاريخ، تتضمن مذكراته وانطباعاته الشخصية كمواطن أميركي مسيحي متدين معني بإحلال السلام في العالم بشكل عام وفي الأراضي المقدسة بشكل خاص، وكسياسي أميركي وصل إلى أعلى المناصب السياسية وبنى شبكة علاقات شخصية واسعة ومباشرة مع قادة العالم المعنيين بالصراع العربي الإسرائيلي، وشارك بصفته رئيسا للولايات المتحدة –وبعد تركه كرسي الرئاسة– في العديد من اللقاءات الرسمية وغير الرسمية المعنية بإحلال السلام في الشرق الأوسط.

لذا يبدأ كارتر كتابه بتسجيل تشوقه لزيارة إسرائيل كرجل مسيحي متدين قرأ دوما عن إسرائيل والأراضي المقدسة في الإنجيل، ثم يتحدث عن أول زيارة قام بها لإسرائيل في العام 1973 رداً على دعوة قدمها له إسحاق رابين –عندما كان كارتر حاكما لولاية جورجيا الأميركية– وذلك ضمن جهود إسرائيل لتحسين صورتها وسط القادة الأميركيين.

ثم يبدأ كارتر عبر كتابه في تسجيل انطباعاته عن إسرائيل والفلسطينيين وقيادات الطرفين وعن دور القوى المختلفة المعنية بصراع الشرق الأوسط منذ ذلك الحين وحتى نهاية العام 2006 تقريبا، بما في ذلك تبعات الهجوم الإسرائيلي على لبنان، مرورا باتفاقات كامب ديفد وأوسلو والانتخابات الفلسطينية المختلفة وحائط الفصل الذي تعمل إسرائيل على بنائه حاليا.

لذا يتميز الكتاب بمسحة من المصداقية النابعة من أن مؤلفه هو جيمي كارير بما يتمتع به من مكانة وكاريزما لدى الشعب الأميركي، ومن المشاعر والملاحظات الشخصية التي يسجلها في الكتاب كسياسي أميركي متدين معني بإحلال السلام في العالم اختار بعد نهاية فترة رئاسته لأميركا أن يبني معهدا لنشر السلام في العالم.

أضف إلى ذلك سهولة الكتاب اللافتة للنظر، حيث يقع محتوى الكتاب الرئيس في حوالي 200 صفحة من القطع الصغير المزودة بالخرائط المبسطة والملاحق التي توضح أهم اتفاقات السلام.

كما أن الكتاب مكتوب بلغة سهلة واضحة تبتعد عن الغوص في التفاصيل الدقيقة لصراع الشرق الأوسط، لذا قد لا يقدم الكتاب شيئا جديدا من الناحية العلمية، ولكنه يقدم خدمة جليلة لحقوق الشعب الفلسطيني بالولايات المتحدة، وهو هدية يقدمها كارتر للفلسطينيين الذين يجب أن يعملوا بدورهم على تقديمها لكل مواطن أميركي.

بيغن تعهد لفظيا بشروط السلام التي طالب بها السادات، لكن الفشل في توضيح وعود بيغن اللفظية الخاصة بتجميد المستوطنات كتابة خلال محادثات السلام التالية كان أخطر شيء على اتفاقية كامب ديفد

كامب ديفد

نقطة انطلاق مضمون الكتاب هي اتفاقات كامب ديفد بين مصر ممثلة في الرئيس أنور السادات وإسرائيل ممثلة في رئيس وزرائها مناحيم بيغن والولايات المتحدة ممثلة في جيمي كارتر، الذي كان رئيسا لأميركا في ذلك الوقت وأشرف بنفسه على الاتفاقية وعلى إنجاح المفاوضات التي قادت إليها.

ويعبر كارتر –عبر صفحات كتابه– عن ارتباطه القوي بتلك الاتفاقية، ويعود إليها تكرارا لأنه أشرف عليها من ناحية ولأنها تضمنت كما يؤكد في أكثر من موضع اتفاقا شاملا على سبل ومتطلبات إحلال السلام في الشرق الأوسط التزمت به مصر ولم تلتزم به إسرائيل بشكل يجعل إسرائيل منتهكة لاتفاقية كامب ديفد ولجهود إحلال السلام منذ توقيع الاتفاقية عام 1978.

ويقول كارتر في الفصل الثالث من الكتاب إن "السادات أراد اتفاقية سلام شاملة" وإنه لم يأت إلى كامب ديفد بحثا عن اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل فقط، ولكنه جاء يبحث عن اتفاقية سلام عربية شاملة مع إسرائيل تقوم على إعادة الأرض المحتلة وضمان حقوق الشعب الفلسطيني ووقف بناء المستوطنات وتطبيق قرار الأمم المتحدة رقم 242.

ويقول كارتر إن بيغن تعهد لفظيا بشروط السلام التي طالب بها السادات ولم تنص عليها اتفاقية كامب ديفد ولكنه لم يف بوعوده، وهنا يشير كارتر إلى أن "الجوهر الأصلي للاتفاقية المتعلق بالأراضي المحتلة الأخرى (غير المصرية) تم التخلي عنه أو تغييره بشكل كبير".

كما يذكر أن "أخطر شيء حذف من اتفاقية كامب ديفد كان الفشل في توضيح وعود بيغن اللفظية الخاصة بتجميد المستوطنات كتابة خلال محادثات السلام التالية".

كما يوضح أن "إسرائيل لم تعط أي استقلال ذي معنى للفلسطينيين، وبدلا من أن يسحبوا قواتهم العسكرية والسياسية قام قادة إسرائيل بتقوية قبضتهم على الأراضي المحتلة".

وهنا يعبر كارتر عن انتقاده لقادة إسرائيل السياسيين بما في ذلك مناحيم بيغن، موضحا بالقول "لم يكن سرا أنه كان بيني وبين بيغن خلافات علنية تتعلق بتفسير اتفاقات كامب ديفد، وللأسف قادت هذه الخلافات إلى بعض الخلافات الشخصية أيضا".

وأوضح كارتر أن انتقاده لبيغن ولموقف إسرائيل من عملية السلام دفع بيغن إلى سوء معاملته وتجاهل الرد على أسئلته في أحد اللقاءات التي جمعتهما.

حافظ الأسد كان مستعدا للعمل من أجل السلام إذا كان قائما على احترام جميع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالصراع العربي الإسرائيلي، ومنح الفلسطينيين حقهم في تقرير مصيرهم

السادات والأسد

أما السادات فيخصه كارتر بأكبر قدر من المديح والتقدير، إذ يقول في الفصل الخامس من الكتاب، في معرض حديثه عن دور دول الجوار في الصراع العربي الإسرائيلي، إن "من بين حوالي 100 رئيس دولة تقابلت معهم عندما كنت رئيسا كان السادات صديقي الشخصي المفضل والأقرب".

كما يمتد حديث كارتر الإيجابي عن قادة عرب آخرين تعاني صورتهم درجة كبيرة من التشويه في دوائر الإعلام الأميركية، وعلى رأسهم الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد.

ويتحدث كارتر عن لقائه الأول مع الأسد في سويسرا عام 1977، ويقول واصفا الأسد "وجدت الأسد –كما يصفونه– أكثر قائد لباقة في التعبير عن جوهر المعتقدات العربية الخاصة بإسرائيل وبفرص السلام".

وهنا يبدأ كارتر في وصف تلك المعقدات بلهجة تتحلى بالموضوعية، مؤكدا أنه "من المهم تلخيص آراء الأسد التي نادرا ما تسمع في العالم الغربي".

ويتحدث كارتر على لسان حافظ الأسد عن رفض إسرائيل منذ نشأتها عودة اللاجئين الفلسطينيين، ورغبة بعض أهم قادتها في بناء إسرائيل كبرى، وكيف أن هؤلاء القادة يؤمنون بأن التوسع والغزو وضم أراض جديدة هو أفضل وسيلة لحماية أمن وحدود إسرائيل.

هذا إضافة إلى إيمان إسرائيل بحقها في إعادة بناء دولة انهارت منذ آلاف السنين، في حين ترفض منح الفلسطينيين حقهم في بناء دولة عاشوا عليها لأجيال، ناهيك عن نظرة إسرائيل إلى اليهود عبر العالم على أنهم شعب واحد، في حين ترفض النظر إلى الفلسطينيين على أنهم شعب متجانس.

كما يؤكد كارتر "استعداد" الأسد للعمل من أجل السلام إذا كان قائما على احترام جميع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالصراع العربي الإسرائيلي، ومنح الفلسطينيين حقهم في تقرير مصيرهم، واحترام القوانين الدولية التي تحرم اغتصاب الأراضي بالقوة واحترام حدود الدول.

– الكتاب: فلسطين.. السلام لا الفصل العنصري
– المؤلف: جيمي كارتر
– عدد الصفحات: 288
– الناشر: سيمون آند سيشتر/ نيويورك
– تاريخ النشر: الطبعة الأولى 2006

لم يكن هناك احتمال أن يقبل أي قائد فلسطيني بالبنود التي عرضت على عرفات ويضمن لنفسه ش ولكن البيانات الرسمية من واشنطن والقدس نجحت في إلقاء كل ثقل الفشل عليه

الفلسطينيون

يبدأ كارتر في الفصل السابع من كتابه في الحديث المفصل عن الفلسطينيين ولقاءاته معهم ومع قياداتهم، وعن ظروف معيشتهم تحت الاحتلال.

فيذكر أن عدد المسيحيين الفلسطينيين "فاجأه" وكيف أن نفوذ الأحزاب الدينية اليهودية داخل إسرائيل وأجندة تلك الأحزاب أدت إلى تقييد حريات الفلسطينيين المسيحيين الدينية، وكيف يعامل الجنود الإسرائيليون المواطنين الفلسطينيين معاملة غير إنسانية.

كما تحدث كارتر، في الفصل نفسه، عن سياسة العقاب الجماعي التي تمارسها إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني وعن المعتقلين وعن غياب العدالة القانونية وعن وجود اليهود المتطرفين في الأراضي المقدسة وعن المستوطنين الإسرائيليين وكيف يعيش بضعة آلاف منهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة محاطين بعدد أكبر منهم من الجنود الإسرائيليين المكلفين بحمايتهم.

ووصف كيف ينفرد هؤلاء المستوطنون بموارد وثروات الأراضي المحتلة الطبيعية بمقادير تفوق مرات مضاعفة ما يعيش عليه الفلسطينيون أنفسهم.

لذا يقول كارتر في نهاية الفصل السادس من كتابة "بدا واضحا لي أكثر فأكثر أن هناك إسرائيلين، واحدة تحتوي على الثقافة والقيم الأخلاقية القديمة للشعب اليهودي كما تعرفها الكتب الدينية اليهودية، وهي النسخة التي اعتدت عليها منذ الصغر وتمثل دولة إسرائيل الشابة كما يتصورها غالبية الأميركيين، والأخرى توجد في الأراضي المحتلة وتمارس سياسات قائمة على رفض الاعتراف بأبسط حقوق الإنسان الخاصة بالمواطنين، وعلى عدم احترامها".

كما يتحدث كارتر في بداية الفصل السابع من كتابه عن اتفاقات أوسلو وما تبعها من جهود فلسطينية لإحلال السلام وإجراء انتخابات وبناء سلطة وطنية مستقلة بعض الشيء.

ويتحدث عن مراقبته للانتخابات الفلسطينية أكثر من مرة وكيف شاهد بشكل مباشر العراقيل التي تضعها إسرائيل أمام مشاركة الفلسطينيين في الانتخابات، خاصة لأهالي القدس الشرقية.

ويشرح كيف أنه هدد إسرائيل في إحدى المرات بأن يعقد مؤتمرا صحفيا دوليا للتنديد بتلك العراقيل ما لم تقم إسرائيل فورا بإزالتها، وكيف أن إسرائيل تراجعت أمام تهديده بعد أن ضيعت جزءا كبيرا من يوم الانتخابات وأخافت أهل القدس الشرقية من المشاركة.

كما يتضمن الفصل الحادي عشر من الكتاب شهادة ضرورية تنصف الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات الذي نجحت إسرائيل في تصويره على أنه رفض فرصة ذهبية لإحلال السلام في نهاية عهد الرئيس الأميركي بيل كلينتون.

يقول كارتر إن ما عرضه كلينتون ورئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك إيهود باراك على عرفات كان مجحفا في جوانب عدة، مثل حق عودة اللاجئين وإبطال القرارات الدولية السابقة التي تحمي حقوق الشعب الفلسطيني، وتمزيق الضفة الغربية بين المستوطنات الإسرائيلية وعزلها عن الأردن.

ويقول كارتر "لم يكن هناك احتمال أن يقبل أي قائد فلسطيني هذه البنود ويضمن لنفسه البقاء، ولكن البيانات الرسمية من واشنطن والقدس نجحت في إلقاء كل ثقل الفشل على عرفات".

"عقبات ثلاث رئيسة تقف أمام عملية السلام، وهي الاحتلال الإسرائيلي والموقف الأميركي المساند له والموقف الدولي الذي غض الطرف عما يحدث

الخلاصة والمستقبل

في الفصل قبل الأخير من الكتاب يتحدث كارتر عن حائط الفصل الذي بدأت إسرائيل في بنائه بكل تفاصيله المجحفة التي يقدمها كارتر بتبسيط ووضوح متميزين.

يقول إن الحائط تجسيد لرؤى التطرف الإسرائيلية التي عاقت عملية السلام، وإنه أشبه بالفصل العنصري الذي مارسته جنوب أفريقيا، وإن كان الفصل الإسرائيلي فصلا بين شعبين لا بين عنصرين.

ويتحدث كارتر في خاتمة كتابه عن عقبات ثلاث رئيسة أمام عملية السلام، هي الاحتلال الإسرائيلي والموقف الأميركي المساند له والموقف الدولي الذي غض الطرف عما يحدث.

كما يتحدث كارتر في اقتضاب عن دور اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة.

ولكنه يعود ليؤكد تفاؤله بأن غالبية الإسرائيليين والفلسطينيين باتوا يريدون السلام وباتوا يتفقون على التفاصيل الرئيسة لأي تسوية نهائية.

ويؤكد في نهاية كتابة أن "السلام سوف يحل في إسرائيل والشرق الأوسط، فقط عندما تكون حكومة إسرائيل مستعدة للوفاق على القانون الدولي وخريطة الطريق والسياسة الأميركية وأماني غالبية مواطنيها، وتكون مستعدة لاحترام التزاماتها السابقة والقبول بحدودها التي يعرفها القانون".

□ نقلاعن/ الجزيرة نت